نقد للصور المقترحة في إصلاح الكتابة العربية

للأستاذ مهدي الظالمي

العراق

حينما فتحنا الباب امام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربى تجنبنا الخوض فى المعركة وتركنا رحاها تدور فيما بين الهاجمين على الحرف العربى والمدافعين عنه وكنا واثقين سلفا بأنها معركة لها دوافع بعضها طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحنا الى مقدار الجمالية فى حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التى نشرناها وننشرها باستمرار ولعلنا نبدى راينا الكامل قبيل اغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلى تنويرا للاذهان.

1 ــ فى اكثر لغات العالم نوعان من الحروف احدهما للكتابة باليد والثانى للطباعة ، اما الحرف العربى فهو واحد فى كليهما وفى ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتعب رصا فى الحروف فى المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين اول ووسط وآخر ، ويهدر من وقتهم كثيرا .

2 ــ واليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونوتيب الالكترونى فقد اصبح صف الحرف العربى اكثر اختصارا للزمن من رصفه حرفا حرفا كما كان من قبل .

3 ــ كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبعية الى ادنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، اما الخط اليدوى فقد بقى على صورته وجماليته .

4 ــ ونحن من راى صاحب المقال الاستاذ مهدى الظالمى بأن هذه المحاولات قد فاتها الزمن، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاولو الاصلاح والمتهجمون كلهم ما زالوا يعيدون ويكررون البحث فى هذا الموضوع ؟ افلا نترك للآراء المختلفة حريتها وننتظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلاوته المستساغ بكل لطفه الخالد بالرغم من المعارك الدائرة حوله .

ممدوح حقى

نشرت « اللسان العربى » فى الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترحتين لاصلاح الحرف العربى للاستاذين مصطفى النعمان ، ويحيى بلعباس (ص 219 ، ص 221) ..

واود ان اشير — قبل مناقشة الاقتراحين — الى ان الفكرة بمجموعها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الاهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة الاصلاح للحرف العربى بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربى بالقصور عن تادية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة فى سلسلة طويلة بدات بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتهويل لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترحات طرحتها الاوساط الاستعمارية والمشبوهة (2) ، والسائرون فى الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما تسللت الى اروقة بعض المجامع اللغوية فى البلاد العربية (4). وطرحها على صفحات « اللسان العربى » من جديد ينبىء بانها لم تنته بعد .

اما سدنة الحرف العربى ، والمستشرقون المنصفون (5) فلم يقفوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبى ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وتفهم واتخذوا بحقها ما يجب من المواقف التى وحدها الايمان بقدرة الحرف العربى على احتواء الفكر الانسانى المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والرومانى والهندى والفارسى . وكان لمجمع اللغة العربية فى القاهرة دور بارز فى هذه الدراسات ، فتقبل كل دعوة واقتراح للاصلاح المزعوم، ودرسها فى ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج المترتبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستاذين النعمان وبلعباس تقع ضمن عشرات الدعوات من امثالها والتى باءت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التى نشرتها ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) وفى مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التى رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربى على تلك الصور المقترحة بديلا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التى الفها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والتى استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد على العشرين عاما ، اى منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترحات التى ابتكرت حروفا او علامات شكل متصلة او منفصلة للاسباب الآتية :

1 — انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واوضاعها المتعارف عليها .

2 — انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المالوفة .

3 — تقضى على فن الخط العربى الموروث .

4 — ان فيها من التعقيد والتنكير ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المتقدمة التى دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترحات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتهما « اللسان العربى » ، وربما كان فيهما من التشويه والتنكير اكثر مما فى بعض تلك المقترحات المرفوضة ، فكلمة « كتب » مثلا على مقترح الاستاذ مصطفى النعمان تكون صورتها كالآتى :

وعلى مقترح الاستاذ بلعباس

ولا اظن احدا ينكر ما فى الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما ذكرته اللجنة من اسباب مقنعة لاستبعاد هذه المقترحات اسبابا اخرى منها :

5 — ان المقترحين يفقدان الكتابة العربية انسيابيتها بما يضعان لنظام النقط من تعقيد ، وما يفترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد يضاع ، يلاحظ هذا فى رسم حروف كلمة « كتب » المتقدمة .

6 — ان الحروف المقترحة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية « حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد ، وللسرعة والاقتصاد قيمتهما فى هذا الزمن » (10).

7 ــ « ان الحروف العربية قد استعملت لا فى لغتنا فقط بــل ان امما كثيرة ، اسلاميــة وغير اسلاميــة استعملتهــا ايضا » (11) .

فاستبدال هذه الحروف الشوهاء بها لا تفقدنا صلتنا بتراثنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامم وصلتهــا بنــا ايضا .

8 ــ ان الحروف العربية « لطول عهدنا بهــا قــد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، الفناها والفتها اذواقنا ، وتكونت من هذه الالفة عادات ذهنية مــن الصعب علينا ان نعدل عنها الى غيرهــا لغير حاجــة قاضية لهذا العدول » (12) .

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلــم يكن جديدا فى المحاولات التى زعمت اصلاح الحــرف العربى فهو نفس الاقتراح الذائع الصيت الذى طرحه احمد لطفى السيد عام 1899 بضرورة الدلالة بحروف المد الثلاثة على الحركات (13) ، والاختلاف الوحيد هو فى صورة هذه الحروف ، فهى عنده نفس الحروف العربية المألوفة وعندهما صورها المقترحة ، واقتــراح السيد لم تستطع شهرة صاحبه ولا علمه ولا منصبه اخيرا كرئيس لمجمع اللغة العربية فى القاهــرة ، لــم تستطــع كل هذه الاعتبارات ان تقربــه من النجاح كما لم يستطع تعديله من قبــل الاب انستــاس مــارى الكرملى (14) ــ وهو من هو فى علو كعبه فى الدراسات اللغوية ــ ان يمنحه شيئا من القوة . وقد وجهت اليه جملة من الاعتراضات ، ترد نفسها اعتراضات على الاقتراحين الجديدين منها :

1 ــ انه يستدعى تطويلا فى الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمــال فى الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربى مــن ميزته الفذة (الاختزال) ، يقول العلامة (نللينو) فى معرض رده على الاقتراح الداعى الى استعمال الحروف اللاتينية يقول عن الحرف العربى : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربى ليس فى حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال » (15).

2 ــ فى حالة تطبيق مثل هذا الاقتــراح سيحصــل لبس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعوض بها عن الحركات فكلمة « محمد » عنده ينبغى ان تكتب « **موحاممادون** » ــ وكان من مقترحه فك الادغــام واثبات التنوين ــ فلا يدرى حينئذ هل هذه الواوات والالفات ومثلها الياءات أهى حروف اصلية ام حركات ؟

وهذا ما دفع الاب انستاسى مــارى الكرملى ان يقترح شكل الصور الموضوعة للحركات ، ولا يخفى ما فى هذا من تكلف وتعسف وتشويه لحرفنا العربى الجميــل .

3 ــ نحن فى كتبنا المطبوعة وفى كتابتنا اليدويــة نستغنى عن كثير من الحركات ، اما فى ضوء المقترحين اللذين يلزمان بوضع صور للحركات تدمــج فى جسم الكلمة ، **فذلك يعنى الزام الكاتب وضع الشكــل كاملا « وفى هذا بالطبع ــ علاوة على ما فيه من غرض رأى الكاتب على القارىء من حيث الخطأ والصــواب ــ تطويل فى كتابة الكلمة طباعة وكتابة »** (16) .

4 ــ وبالتالى فهل هناك ضرورة قصوى تفرض علينا ان نخرج من رسمنا العربى البسيط الى رسم مركب معقد يساعد فى قطع الصلة بين حاضر الامة وتراثهــا الضخــم ؟

ونعود ــ اخيرا ــ الى ما ورد فى معرض التقديم للمقترحين من القول : ان الجامعة العربية جادة الآن فى دراسة امثال هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائى ، فهو ــ ان صح ــ يعنى ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشغل نفسها بمواضيع غير ذات جدوى ، لان مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه المواضيع وهو يخالف ما عهد بمؤسسات الجامعة الثقافية فــى مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التى توليها الجامعة لابحاث مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ان اللجنــة التى الفتها الادارة الثقافية فى الجامعة للنظر فى تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول فى اواخر مارس عام 1956 رات ان تنضم الى لجنــة التيسير بالمجمع وان توالى اجتماعاتها يدار المجمع للاطلاع على جهــوده فى موضــوع التيسيــر ، فهــل ان هــذه المؤسسات عادت الآن لتلقى من حسابها كل الجهود المبذولة فى هذا المجال ، لتبدأ من جديد دراسة لصور حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعريب الذى قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالمجامع اللغوية اكثــر عمقا ... كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تدرس هيئة منها فى موضــوع تقــوم هــى على

خدمتـــه » انه بطرحه لهذه النمـــاذج من الحـــروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدات تلك المؤسسات لا من حيث انتهت ، وهو ما ينبغـــى ان يكـــون .

وختاما ، اليس من حق الانسان العربى ان يتساءل عن مبررات طرح مثل هذين المقترحين على صفحات « اللسان العربى » التى تؤلف نقطة ارتكاز فى الدراسات اللغوية ، والتى تضع خدمة اللغة العربية وتيسيرها ، ونشرها بين المتعلمين الهدف الاساسى لها ، وليس فى الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

---

1 ــ قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتهم العربية :« اننى اوثر ان اجتاز افريقية كلها ماشيا من الاسكندرية الى الرجاء الصالح على ان اشرع ثانية فى تعلم اللغـــةالعربية » حاضر اللغة العربية : سعيد الافغانى ص176

2 ــ من امثال دعوة « ولهم سبيتا » عام 1880لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينيـــة فى كتـــابه « قواعد العربية العامية فى مصر » . ورددها القاضىالانكليزى «ولمور» فى كتابه « لغة القاهرة » عام 1903

3 ــ يلاحظ هذا فى كتاب « ياره ــ شعر » لسعيد عقلوالذى كتب على غلافه : اول كتاب لبنانى يطبع بحروف لاتينية ، نقلا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربيـــة » للدكتور انيس فريحة . وغيرهما .

4 ــ طرح عبد العزيز فهمى رايه باستبدال الحروفاللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهـــرة عام 1943 وشغل اعمال المجمع طيلة ثلاثـــة اعـــوام(يلاحظ رايه مفصلا فى كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينيـــة ») .

5 ــ امثال المستشرق الفنلندى « يوحنـــا اهتنينكرسكو » (يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى فى مجلـــة المجمع العلمى العربى بدمشق 4 ــ 486 الصادرة عام1924 (نقلا عن حاضر اللغة العربية ص 175) .

والمستشرق « نللينو » الذى دافع عـــن الحـــرفالعربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به (يلاحظ ذلك فى « الاتجاهات الوطنيـــة فى الادبالمعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 ــ 355).

6 ــ يلاحظ مجمل هذه الدراسة فى « مجموعـــةالبحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامســـة والعشريـــن ابتـــداء منص 77 »

7 ــ اورد الدكتور انيس فريحة نماذج من هـــذهالصور فى كتابه « حروف الهجاء العربية » .

8 ــ مجموعة البحوث والمحـــاضرات : الدورة :25 ، ص 77 .

9 ــ المصدر السابق : الدورة : 26 ص 239 .

10 ــ تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر :الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ص 219 .

11 ــ المصدر السابق ص 219 .

12 ــ يلاحظ رأى الكرملى فى « الاتجاهات الوطنية »2 ــ 351 .

13 ــ المصدر السابق 2 ــ 255 . ى

14 ــ مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة :25 ص 79 .

15 ــ المصدر السابق ص 81 .

16 ــ اللسان العربى ج 1 م 9 .